

في ذلك رئيس مجلس النظار وناظر الاشغال العمومية وقيم دار العاديات ومهندسها ثم ختم بالشمع الاحمر وجعل في صندوق من الابنوس مغشًى بالفضة وجعل معه قطعة من الانواط التي ضربت لهذا الاحتفال وقد رسم عليها من الصفحة الواحدة رسم الحضرة الخديوية ومن الصفحة الاخرى تاريخ الاحتفال واسماء الذين جرى لهدم من مراجع هذا الشأن وهم الحضرة الخديوية ومن يليها من المشار اليهم قبيل هذا وخُتم الى ذلك عدة قطع من النقود المصرية وبعض جرائد القطر المشهورة من عربية وغيرها ثم اقل الصندوق وختم عليه بالشمع الاحمر وجعل في ضمن صندوق حجري من الصناديق العادية وانزل في مكانه من اساس ركن البناء. وبعد ذلك ارفض الجمع وكلهم السنة ثني على سمو الخديوي المعظم لما يُعنى به من مصلحة الأمة والبلاد ادام الله عزه وجل مساعيه كلها مصدراً للخير والهناء ومورداً للحمد والدعاء بفضلهم عز وجل وحسن تسديده.

آثار أدبية

الدرة البتية - اهدى البنا حضرة الاديب خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت نسخة من هذه الرسالة الأنيقة وهي من تأليف الكاتب البليغ المشهور عبد الله بن المقفع أودعها فنوناً من الحكمة وآداب الخالقة والمعاشرة وما ينبغي للانسان ان يتزياً به من الأخلاق في مصاحبة الحكماء ومخالفة الاصدقاء ومداراة الشائين والحساد وما يسلكه من الطرق لانتقاء الاعداء وأصحاب الطوائل والتسبب الى النيل منهم ورد كيدهم

اليهم وكل ذلك مما لقتته التجربة واعانته عليه الحنكة وارشده اليه ذكاء قلبه
 وتوصل اليه بعين النقد والاعتبار وتنبع الامور بالنظر الصادق والقلب الحافظ
 بحيث كان لا تمر به واقعة ولا يجري امامه امر الا تمثل فيه عبرة وانتزع منه
 حكمة واستفاد به بصيرة فاقى في عامة الكتاب بما لم يسبق اليه ولم يجمعه من
 قبله جامع . ولا غرو ان يصدر مثل ذلك عن هذا الرجل الكبير على ما اشتهر
 به من سعة عقله وبعد نظره وغزارة علمه وقوة عارضته وما عرف به من
 بلاغة الكلام وسحر البيان والحكمة الرائعة وكيف لا وهو معرب كتاب كلية
 ودمنة المشهور الذي لو لم يكن له فيه الا انه كساه من ديباجة لفظه ووشي
 يانه ما كان به نسج وحده في التصانيف العربية فضلاً عن المعربة وما لا يزال
 به على الدهر جديداً لا تبليو الليالي ولا تغيره الايام لكفاه دليلاً على غزارة
 فضله ورتاسته بين ارباب البلاغة وامراء الانشاء.

ولا بأس ان نورد هنا لمعة يسيرة في المقابلة بين كلامه في هذه
 الرسالة وعبارته في تعريب كلية ودمنة لا نقصد بذلك غير فائدة النقد وما يترتب
 عليه من استخراج الحقائق وارشاد البصائر فان من تتبع الكتابين بالنظر النقاد
 وتصحح اسلوبهما بالذهن الشفاف واعتبر بعضهما ببعض فلا جرم انه يرى كلامه
 في كلية ودمنة اخلص الفاظاً وأنقى ديباجةً وأنصح ألواناً وأشدَّ انسجاماً حتى
 ترى عبارته هناك جوهرًا صافيًا ونسقًا مطردًا لا يتوقف دونها الفهم ولا تجهد
 عندها الروية ولا يمترض يانه فيها لبس ولا اشكال . واذا اعتبر كلامه في
 الدرة وجد كثيرًا منه غير خالص من التعقيد والاضطراب فبقى الاسلوب
 صعب الاستخراج غير نضيج على الجملة ولا منقح العبارة . بلى ان النسج في
 كلا الكتابين واحد وطبقة الكلام لا تختلف ولكن هناك من الاندماج والسلاسة

واقتياد الاغراض واطراد السبك ما لا تجده هنا . وامل ذلك اذا تبعت اسبابه وارء من كثرة تداول الايدي لذاك دون هذا فكان مثله مثل الدينار الذي كثر التعامل به وطال تنقله من يد الى يد حتى ازال اليدي حرشته وعاد املس ناعماً . وذلك ان كتاب كليله ودمنة قد رزق من الشهرة والاستحسان واجماع العقول على اثاره ما لم يرزقه كتاب في باب وهو الى اليوم اشهر من نار على علم ولا تكاد ترى متأدباً الا وقد اطلع عليه وشفي به وطالما كان موضع ارتياح للملوك والرؤساء والعلماء والادباء وقد كثرت عنايتهم به وخدموه خدمة لم يخدمها كتاب فما منهم الا من اتسخه او استنسخه فضلاً عن نظمه من شعرائهم فكان الناسخ من أهل الذوق والبصر بالانشاء اذا رأى فيه منقحاً ازاله او اوداً أقامه فلم ينادروا فيه عبارة نافرة ولا لفظة قلقة ولا تركيباً ثقيلاً بحيث انه على تمادي الزمن وتكرر النسخ تم تهذيبه وتنقيحه . والذي يدل على صحة ما تقول انك لا تكاد تجد نسختين منه تتواطآن على لفظ واحد حتى ان دسيسي فيما رويناه عنه في الطيب^١ كان بين يديه سبع نسخ منه كل واحدة مبينة للاخرى . وهذا مما يدل على فضل هذا الكتاب ولا يفض من قدر معربه شيئاً اذ الكلام لا يزال كلامه والأسلوب اسلوبه وبمقابلته بالدرة التي نحن في الكلام عليها يظهر لك مصداق ذلك وتري أن ديباجته مع ما تبدل عليها من النقوش والزخارف لم يتبدل منها ولا تنكر لونها ولكنها ما زالت تُعرف لأول لمح لا تنيب عن معرفة الناقد وتميز العارف على أنا لا ننكر ان أكثر ما في عبارة الدرة من السقم والاضطراب انما ورد عليها من قبل النساخ وشتان ما بين صنيعهم هنا وصنيعهم هناك ولكن

كل ناسخ إنما فعل بمقدار علمه فان الذين نسخوا هذه الرسالة لم يعدوا في
 الاكثر حال سائر الناسخين ممن لا علم لهم بما ينسخون والذين تولوا نسخ كلية
 ودمنة كان الكثيرون منهم من فحول اهل الانشاء والمعركة بأسرار اللغة
 وأساليب الكلام فلا عجب ان جاء كل من نسخ الكتابين على ما وصفنا والله أعلم
 واثباتاً لما ذكر وتزيهاً لعهد المؤلف عن كثير مما جاء في هذه الرسالة
 نقل هنا بعض المواضع التي اشرنا اليها مما افسده تحريف النساخ وما لعله
 اجتمع اليه من اغلاط الطبع التي هي فاشية في كتبنا العربية لا يكاد يسلم منها
 كتاب والتي هي ولا جرم اعظم ضربة على المصنفين والكتاب . فن ذلك
 ما جاء في صفحة ٩ وهي الصفحة الاولى من الرسالة « غير ان الذي نجد في كتبهم
 هو المتخل في آرائهم والمتقى من احاديثهم » فان قوله « المتخل في آرائهم »
 غريب في هذا الموضع لا يستقيم له معنى ولا هو مما يحتمله سياق الكلام وصوابه
 « المتخل » بالخاء المعجمة وهو بمعنى المتقى الوارد بعد مع تبديل لفظ « في »
 بلفظ « من » وهو الوجه السديد الذي لا غبار عليه كما ترى

ومن ذلك في صفحة ١٠ « في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامه وتجزئة
 اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم » فان هذه المخالفة في صيغ الضمائر لا وجه
 لها بل منها ما يفسد المعنى كما ترى والوجه ايرادها جميعاً بلفظ التذكير والافراد
 عوداً على العلم

وفي صفحة ١١ « واعلم ان من العجب ان يتلى الرجل بها (اي بالامارة)
 فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيد لها في ساعات دعوته وشهوته »
 قوله « من العجب » لا معنى له في هذا المقام كما ترى ولا ما ذكره بعده مما
 فيه عجب اذ اكثر الناس على هذا السبيل من اثار الدعة واللذة . بل الاظهر

ان الاصل « من العجز » فأبدله الناسخ سهواً او عمداً لانه لم يفهم معنى العجز هنا وهو تقيض الحزم فانكلم بذلك المعنى وتشوهت صورته كما ترى
وفي صفحة ١٣ « لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ به سفيه او يستخف له شأن » ولا معنى للشأن هنا كما ترى والصواب « شاني »

وفي الصفحة نفسها « واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير المهم أزرع بالمهم » شُكِلَت الشين من « شغلت » بالضم فتكر المعنى واضطربت سلسلة الكلام لان « ما » صارت على هذا شرطية زمانية والمقصود ان تكون اسماً موصولاً يرجع اليه ضمير محذوف بعد شغلت وذلك على حد قوله بعد « وما صرفت من مالك بالباطل قدته حين تريده للحق وما عدلت به عن كرامتك الى اهل النقص اضربك في العجز عن اهل الفضل »

وفي صفحة ١٦ « لا يلومنَّ الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه » والصواب في « الحرص »

وفي صفحة ١٨ « لا يعرفك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتتهم في ذلك » وفيه خطأ يعلم الله مكانه والا فهذا الكلام لا يمكن ان يصدر عن قلم المؤلف . ثم ان قوله « في بلدة من البلدان » فيه تحريف بزيادة التاء على بلدة لأن فعلة لا تجمع على فعلان وانما البلدان جمع بلد مثل حمل وحملان وجمع البلدة بلاد

وفي صفحة ٢١ « لا تحضرنَّ عند الوالي كلاماً لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جواباً بالشيء سُئِلَتْ عنه » وفي هذا الكلام من الاضطراب والابهام ما لا يخفى ولا يُعِين حروفه على معرفة اصله يد أن قوله « جواباً بالشيء » فيه تكرار حرفين وصوابه « جواباً لشيء »

ومثله في صفحة ٢٢ « اذا قال لك السائل ما ايتاك سألت او قال لك المسؤول عند المسئلة يعاد له بها دونك »

وفي صفحة ٢٤ « فليست عليه مؤونة في تبذل يتبذل له عنده » وفي زيادة لام والصواب « يتبذله عنده »

وفي الصفحة نفسها بعد ما ذكر « او رأي يستزله منه » والصواب « يستزله »
وامثال ذلك كثيرة في الكتاب ذاهبة كل مذهب ما بين قص وتبديل
واحالة لبعض الكلم عن مواضع مما تنكرت به صور التراكيب وانبتت وجوه
المعاني وذهب ما فيه من الفصاحة والسبك . وانت خير بأن ما يوصف من
الكتب بالسم والغثاة او بالتكلف والتعقيد لا يستلزم ان تكون كل عبارة
فيه كذلك ولكن الجملة الواحدة بل اللفظة الواحدة في الصفحة اذا نزلت
في غير منزلها قد تكون كافية لأن تتחדش روحها وتشوه سائر ما فيها من
الحاسن كالوجه الجميل اذا كان على احدى عينيه كوكب او في احدى
وجنيه قرحة قد تنبر العين عن النظر اليه وان كان سائر سليماً لا عيب فيه
لا جرم ان ذلك لما يشعر له بالأسف كل من عانى هذا الشأن اي
شأن الكتابة والتأليف وتمثل ما بذل المؤلف رحمه الله من الانغراق في النظر
وتحرى من الصحة والإحكام في وضع هذا الكتاب الذي هو نتيجة تجاربه
وثمره عقله ومعرض بيانه . وكم مثله من السلف ممن لو عادوا اليوم وعانوا
ما صارت اليه مصنفاتهم وما منيت به من صوف الجدع والصلم لتنتوا انهم لم
يجروا فيها قلماً ولم يعملوا فيها فكراً

على ان النسخ من قبل عصرنا هذا كانوا ادنى الى المذر من اهل
الطباعة اليوم اذ لا يتسنى لكل ناسخ ان يكون عارفاً بما ينسخ ولا ان يتخذ له

مصححاً ينبهه الى مواضع الخطأ، ويرشده الى وجوه تصحيحها ثم هو ان أخطأ
 أخطأ في نسخة مثلاً وصحح غيره في غيرها فلا يعم من ضرره ما يعم من ضرر
 الطابع الذي اقل ما يطبع من الكتاب في المرة الواحدة الف نسخة او فوقها
 فاذا فرط فيه شيء من الاغلاط تكرر في تلك النسخ كلها وخرجت باسرها
 صيغة واحدة فلم يبق فيها مجال للمقابلة ولا مطمع في التصحيح . بل كثيراً ما
 رأينا من المطابع ما يكون مفسدة للكتب وان كان اصلها الذي تُنقل عنه صحيحاً
 لأن منضد الحروف اليوم ليس بأبصر من الناسخ بالأس بل ربما كان من
 الناسخ من هو من اهل العلم ولا تجد في المنضدين من يكون على شيء من
 ذلك بل العارف العارف منهم من يقدر على قراءة الخط الواضح . . ثم الأمر
 على قدر ما يكون من اولئك فان اتفق أن جاءوا بصوراً ما ينقلون صحيحةً
 فذاك والآبقي ما وضعوه على وضعه الآ فيما ندر في بعض المطابع الكبرى
 التي قد أرصد لها مصححون من اهل العلم بل قد رأينا كتاباً في فنون من
 دقيق اللغة وغريبها قد طبع في احدى تلك المطابع عينها فكانت عدة ما فيه
 من الأغلاط ٩٠٠ غلطة (لا غير) والكتاب كله لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة

فالله ايها الناس في أمانات أولئك الأقوام انكم كنتم عليها انتم المؤمنين
 وانهم ليسوا بشاهدين امركم فارحموهم انهم كانوا للرحمة اهلاً وكانوا من
 المحسنين واعلموا ان ما وقع اليكم من تلك الاوراق ليس مما أنبت التراب
 وسقاه السحاب وأنضجته الشمس والضباب ولكنه مما أُنشئت فيه الأجساد
 وأُنشئت العيون بالسهاد وصُدعت لأجله الرؤوس وأذيت الأدمغة على
 صفحات الطروس وانه لما يعمت به الاعمار فلا تبعموه بيع الرخيص وبذلت
 لأجله الدنيا وهي أحق ما ضن به حريص وانما فعل أربابه ذلك بغية الذكر

حتى اذا فئت اعيانهم عاشوا بالآثر ولكي يعرفوا بصور عقولهم اذا ذهبت
الاجساد فكيف بلغت الياتك الصور تالله ما الأرضة التي تأكل الكتاب
فتمزقه بداد ولا النار التي تحرقه فتصيره الى الرماد ولا الماء الذي يفرقه
فيضرب بينه وبين الوجود بالأسداد بأضر عليه من يحرف عباراته ويبدل
حسناته وينسخ محاسن آياته وان ذهاب الكتاب جملة بداهية من نوازل
القدر وضياح فضل مؤلفه وما يرجو ان يبقى به من جميل الآثر لأهون
على قلبه من ان ينشر بعده بين ايدي الناقدين وقد حمل عليه من العيوب
ما يجعله عرضة للمفتدين وغرضاً لسهام المتددين عصمنا الله مما نزل به أقلامنا
انها الزلة الباقية على كرور الليال وكفانا شر من يفسد آثارنا من بعدنا انه
كفى العبد ما يتوقع من فساد كيانه ومصيره الى الانحلال وحسبنا الله وكيلاً
ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿البصر في الظلام﴾

وجد طيب اسمه برند من مدينة هال فتاة ترى اشعة رنجن واضحة
بينها اليسرى ولا تراها بعينها اليمنى وسبب ذلك ان جليدية العين اليسرى
اظلمت قُرعت بعملية كما يحدث كثيراً في مثل هذه الحالة. ولا يخفى ان
الانسان لا يستطيع ان يرى هذه الاشعة بالنظر المجرد فاستنتج الطيب المذكور
ان اشعة رنجن تؤثر في الشبكية كما يؤثر النور ولكن الجليدية تمنع من نفوذها
الى الشبكية. وفي ذلك نظر لان الاشعة المذكورة لا تؤثر على الشبكية راساً
ولكنها تنقل اليها من خلال طبقات العين ورطوباتها فتدرك على شكل

١ هي ما عربه المتأخرون بلفظة «البلورية» وسماها اطباء العرب بالجليدية
لانها كما قالوا تشبه الجليد في الصفاء والجمود